دور الزوايا في التوجيه الروحي والتربوي للأسرة الجزائرية –الزاوية الحبيبية بالأغواط نموذجا

الأستاذ قويدري الأخضر

قسم علم النفس وعلو م التربية، جامعة عمار الثليجي –الأغواط–

الملخص

لقد أثبتت الدراسات التاريخية والاجتماعية أن الزوايا في الجزائر ساهمت إسهامات جليلة في الحفاظ على الهوية الحضارية للأسرة الجزائرية بحيث كانت منبعا روحيا ومرجعا تربويا استمد منه الفرد الجزائري قيمه ومبادئه التي حصنته من الذوبان في ثقافة المستعمر. وفي الوقت الراهن وفي ظل التغير الاجتماعي وفي خضم الأزمات والتصدعات التي تشهدها الأسرة الجزائرية، فإن الزوايا بصفتها مؤسسات دينية وروحية تحاول أن تقرأ الواقع الاجتماعي قراءة معاصرة ، كما تحاول أن تشكل خطابها الديني والتربوي وفق ما يحتاجه المجتمع الجزائري حتى تتمكن كغيرها من المؤسسات الاجتماعية من إنقاذ الأسرة الجزائرية من المخاطر المحدقة بها وعلى هذا فإن الإشكالية التي تود هذه الدراسة معالجتها تتمثل في ما يلي: ماهي الإسهامات التربوية للزوايا في الوقت الراهن؟ وإلى أي مدى نجحت في تدعيم القيم الروحية لدى الفرد الجزائري وتجنيب الأسرة الجزائرية مخاطر السقوط والانحراف؟ هذا وحتى يكون لهذه الدراسة صدى واقيا أجريت بحثا ميدانيا حول الزاوية الحبيبية الشاذلية بمدينة الأغواط بغية معرفة دورها في التنشئة الاجتماعية والاطلاع على إسهاماتها في هذا المضمار.

الجانب النظري للدراسة:

تمهيد:

تعتبر التنشئة الاجتماعية أو التطبع الاجتماعي socialisation مجموعة الخطوات التي تساعد الفرد على التكيف مع البيئة أو المجتمع، وقد شغل هذا الموضوع جملة من العلماء المتخصصين في علم النفس وعلم الاجتماع. ولا شك أن الأسرة هي أول بيئة اجتماعية تتولى هذه العملية، لكنها في حاجة إلى مؤسسات اجتماعية أخرى تساعدها في ذلك. ومن بين تلك المؤسسات، الزوايا.

فالزوايا قد ساهمت طيلة الحقبة الاستعمارية في الحفاظ على الهوية الدينية واللغوية والحضارية للشعب الجزائري حيث كانت منبعا تربويا وروحانيا استقت منه الأسرة الجزائرية

آنذاك جميع مقوماتها التي حصنتها من الذوبان في ثقافة المستعمر. واليوم، وفي ظل التغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري، وفي ظل ما تشهده الأسرة الجزائرية من تصدعات وأزمات، تحاول الزوايا بصفتها. مؤسسات دينية وروحية. أن تقرأ الراهن الاجتماعي قراءة واعية ودقيقة، من أجل تجديد خطابها التربوي، محاولة كغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى، أن تساهم في توجيه الأسرة وإرشادها بما يمكنها من المواءمة بين قيمها الأصيلة والمعطيات التي تفرضها الحداثة. وعلى هذا الأساس فإن الأسئلة التي تشخص أمامنا هي:

ما هي مظاهر الانحراف الاجتماعي التي تشهدها الأسرة الجزائرية في الوقت الراهن؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى ذلك؟ ثم إذا كانت الزوايا في الجزائر قد ساهمت في الحفاظ على المنظومة الأخلاقية للأسرة الجزائرية طيلة العهد الاستعماري فإلى أي مدى يمكنها اليوم أن تقوم بالدور ذاته؟ وهل استطاعت بالفعل أن تجعل من خطابها التربوي مواكبا لمجمل التحديات المعاصرة التي تقف في وجه الأسرة الجزائرية؟

1. مظاهر الانحراف الأخلاقي في المجتمع الجزائري المعاصر:

يعرف التغير الاجتماعي بأنه "كل تحوّل يحدث في النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية، سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة، خلال فترة زمنية محددة"[i]. وقد اتفق علماء الاجتماع على أنه كلما ازداد التغير الاجتماعي حدّة كلما ازدادت المشكلات الاجتماعية عددا وعمقا وشدة، مما يؤدي حتما إلى حالات من الانحراف الاجتماعي. ولو تفحصنا مليا في حالة مجتمعنا الجزائري لاستنتجنا أن هناك تدهور على مستوى العلاقات الاجتماعية بين أفراده، وذلك يتأكد من خلال تفشي مظاهر الانحراف الأخلاقي، وانتشار القيم المادية على حساب القيم الروحية خصوصا في العقدين الأخيرين.

ولا شك أن هذه السمات السلبية ناشئة عن تغير بنائي[ii] أفضى بدوره إلى إحداث تغيرات عميقة في جميع بناءات المجتمع ونظمه وظواهره وعلاقاته. وتفسير ذلك أنه عندما كان التغير بطيئا وبسيطا في مجتمعنا كنا نعيش على وفاق مع منظومة قيمية وتربوية متحكمة في سلوكياتنا. أما في الوقت الراهن. وفي ظل التراكم والتعقد الثقافي واكتساح القيم الغربية الوافدة. فقد اختلفت المعايير واتخذت كل جماعة قيمها الخاصة، مما ترتب عنه صراعات حادة واختلافات سافرة في وجهات النظر الأخلاقية، تجلّت في طغيان النزعة المادية على تفكير

الأفراد. وكما هو مؤكد أن "سيطرة الناحية المادية على اهتمامات الأفراد، عادة ما تدفعهم إلى الاهتمام بالحصول على الثروة والنفوذ والمراكز الاجتماعية الهامة بصرف النظر عن المصادر والوسيلة لتحقيق ذلك، مما قد يؤثر بدوره على النواحي الروحية والأخلاقية "[iii].وبما أن الأسرة تعيش دائما حراكا ثقافيا متواصلا فإن كل تغير يحدث على مستوى المجتمع سوف يؤدي حتما إلى تغيرات عديدة على مستواها[iv].

ومما سبق يمكننا تلخيص مظاهر الانحراف الأخلاقي الذي تشهده الأسرة الجزائرية في مظهر جلّي وهو تراجع القيم الدينية على مستوى المعاملات. فالدين " هو الذي يتيح الفرصة لمشاعر الحب والتعاون والبذل والعطاء والمشاركة الوجدانية، وكلها مشاعر ضرورية للحد من الصراع بين الأفراد والتكالب على المنفعة الذاتية وتخفيف حدة الأنانية والأثرة"[v] .غير أن هذه القيم الدينية في مجتمعنا أضحت . وللأسف . بمثابة العملة التي فقدت قيمتها بين الناس. ‘‘فالمرء الذي يعيش في مجتمع يقتاتُ معظمُ موظفيه بالرشوة والاستيلاء والاحتيال على التنظيم تصبح نزاهته وعفته بمثابة عقوبة له ولأسرته"[vi]. وهذا الاختلال الأخلاقي في مجتمعنا نجم عنه انقلاب بشع في المعايير، فأصبحت الطيبة سذاجة وصار التعاون إهدار للجهد، وأضحى تحري السبل الشرعية في اكتساب الرزق غلو. والحقيقة أن هذه اللامعيارية المنتشرة في أوساطنا، ترجع إلى أن ما يجابهه مجتمعنا من تحولات اقتصادية وسياسية وثقافية تركت بصماتها على جميع مؤسساته.

فإذا كانت المعاملات بين أفراد مجتمعنا صارت تتجه شيئا فشيئا نحو البراغماتية أو ما يسمى "بثقافة الأخلاق العملية"[vii] فذلك لأن فلسفة الأخلاق العملية (البرغماتية) هي السائدة عالميا. ولا شك أن انتشار هذه الأخلاق (البرغماتية) أدى إلى ظهور ‘‘معايير متصارعة إلى درجة أن الامتثال للقيم الأصيلة صار يمثل شذوذا وانحرافا"[viii]. ومن هنا يجد الفرد الجزائري نفسه متورطا في صراع داخلي مرير وهي حالة يعيشها كل إنسان عندما " يرى أنه ينشأ على قيم معينة، ولكنه مطالب أن يعمل بما يناقضها في اتصالاته بالآخرين"[ix]. وقد أدى هذا التأرجح بين "النسق القيمي المتصور، والنسق القيمي الواقعي"[x] إلى تمزق الفرد وانشطاره واغترابه.

2. أسباب الانحراف الأخلاقي في المجتمع الجزائري المعاصر:

لا بد من التنبيه إلى أن تفشي هذه القيم المادية لم يأت من فراغ، وإنما له ما يبرره من أسباب ترجع في اعتقادي إلى ما يلي:

أ: سوء الحالة المعيشية:

لقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يتعوّذ من الفقر فيقول: "اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر"[xi].وليس مصادفة أن يقترن لفظ الكفر بلفظ الفقر في هذا الحديث الشريف، لأن الفقر المدقع قد يؤدي إلى الكفر أو ما يشبه الكفر. وهذا ما يمكن أن نستشفه من حديث آخر حيث يقول عليه الصلاة والسلام: "كاد الفقر أن يكون كفرا"[xii].فالضغوط الاقتصادية تدفع بالفرد إلى انحرافات أخلاقية بل وعقائدية، تتفاوت آثارها على الأفراد بحسب شدتها وبحسب قوة التحمل لديهم.

وإذا كان الخاصّة من الناس هم الذين يستطيعون تحمّل أعباء الفقر نظرا لطاقتهم الروحية وقوة تشبعهم بالروح الدينية، فان عموم الناس . وهم غالبية المجتمع . ينهارون أمام ضربات الفقر القاتلة. ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن الرجل إذا غَرِم (أي استدان) حدّث فكذب، ووعد فأخلف"[xiii].

لقد عرف مجتمعنا سلسلة من الأزمات الاجتماعية "كأزمة السكن، وتدهور نوعية الخدمات الاجتماعية القاعدية من تربية وصحة وتعمير، بحيث شهدت سنة 1998 مثلا حلّ 1000 مؤسسة وتسريح حوالي 400.000 عاملا، وتصاعد منحنى البطالة ليصل إلى 28% خاصة في صفوف الشباب، ورفع دعم الدولة عن قطاعات حساسة من خلال الزيادة في فواتير الكهرباء والغاز والإيواء وتدهور القدرة الشرائية ونقص التغطية الصحية"[xiv].

وقد أفادت دراسة أجرتها مصالح الديوان الوطني للإحصائيات أن نسبة البطالة في الجزائر بلغت 13.8 % سنة 2007م مقابل 12.3 % سنة 2006م، وتشير المعطيات الواردة في هذه الدراسة إلى أن عدد السكان في سن العمل الذين يعانون البطالة أو يبحثون عن عمل قد بلغ 1374000 شخصا شهر أكتوبر 2007 من أصل 8594000 شخصا ناشطا أي ما يعادل نسبة شغل بـ 25.5 %. ويتعلق الأمر أساسا حسب ذات المصدر ببطالة إدماج بحيث أن 72 % من إجمالي البطالين دون 30 سنة وأن 85.6 % منهم دون ال 35 سنة.

فإذا كان الأمر على هذا الحال، اتضح لدينا سبب غياب القيم الدينية واستبدالها بنقيضاتها مثل المحسوبية، والأنانية، وعدم الاهتمام بالغير، وغياب روح التعاون والتكافل، والرشوة، واللاعدالة المعبّر عنها في لغتا الشعبية بـ ''الحقرة". وقد يصبر المرء على شظف العيش "إذا كان ذلك ناشئ عن قلّة الموارد، أما إذا كان سببه سوء توزيع الثروة، وبغْيُ بعض الناس على بعض، وترف أقليّة في المجتمع على حساب الأكثرية، فان هذا الفقر يثير النفوس، ويُحدث الفتن والاضطرابات، ويُقوّض أركان المحبة والإخاء بين الناس"[xv].

ب: التشوف إلى الترف الاجتماعي:

إذا كان الفقر يؤدي إلى انحرافات أخلاقية وسلوكية وعقائدية .كما سبق ذكره . فإن الجريَ وراء حياة الترف، واللهثَ وراء الكماليات، يدفع بالإنسان إلى تجاوز الحدود المشروعة أخلاقيا من أجل إشباع شهواته الذي تقصر قدراته المادية على تحقيقها. فالنهم المادي لا يوقفه إلا الحاجز الروحي، فإذا انهار هذا الحاجز انهارت معه كل القيم المرتبطة به، كالصبر والقناعة والرضا، وانقلب الإنسان إلى وحش مفترس. وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى سيكولوجية النهم المادي لدى البشر فقال:" لو أن ابن آدم أُعطي واديا مليئا من ذهب أحبّ إليه ثانيا ولو أعطي ثانيا أحبّ إليه ثالثا ولا يَسدّ جوفَ ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب "[xvi].

فهذا الشذوذ النفسي المتمثل في البحث الجنوني عن الثراء يظهر في شكل سلوكات غير طبيعية قوامها الخداع والنفاق الاجتماعي والتزوير وإقصاء كل بعد روحي أو إنساني.

وقد تنبه عبد الرحمن بن خلدون إلى الانعكاسات السلبية للترف، وأكّد أن عادات الترف إذا استحكمت في نفوس الأفراد، كثُرت حاجياتهم، وعجز كسبهم عن الوفاء بها، فتتلوّن سلوكياتهم بألوان الشرّ" فيكثر بينهم الفسق والسفسفة، والتحيُّل على تحصيل المعاش من وجهِهِ وغير وجهه، وتنصرف النفس إلى الفكر في ذلك والغوصِ عليه واستجماعِ الحيلة له، فتجدهم أجرياء على الكذب والمقامرة والغش والخلابة والسرقة والفجور في الأيْمان والربا في المبيعات"[xvii]. وهي قيم مادية بحتة لا تنبت إلا مستنقعات الترف.

والغريب في الأمر أن المجتمع الجزائري كان متّسما بدفء الروابط الإنسانية، وتماسك العلاقات الاجتماعية، وسريان القيم الروحية، رغم الفقر والاحتياج حتى في سنوات الجمر التي

مرت عليه خلال المرحلة الاستعمارية، لكنه اليوم وبعد تحسّن الحياة المعيشية نسبيا . إذا ما قورنت بالفترة الاستعمارية . أصبح يتذّمر من تقلص تلك الروابط حتى بين أفراد الأسرة الواحدة، بل ويشتكي من انسحاق القيم الإنسانية تحت أقدام التكالب المادي، مما يؤكد صحة النظرية الخلدونية حول الانعكاسات السيكوسوسيولوجية للترف.

إننا لا نشك في وجود تدهور معاشي في مجتمعنا . وذلك ما أُثبِت في ما سبق . ولكن ينبغي الإشارة إلى أن هذا التدهور يعود في جانب كبير منه إلى تصارعنا حول الكماليات، التي كسوناها بِوِشاح الضروريات فضاقت قدراتنا على الوفاء بها، فأصبحنا نعيش في جوّ خانق من الاكتئاب والاضطراب، والوساوس والأوهام المعاشية، وصرنا في غياب ثقافة الرضا و الصبر و القناعة . لا نكتفي بالضروريات بل أصبحنا نتفنّن في البحث عن المزيد المادي الذي لا ينتهي، والذي تُذبح من أجله كل القيم الدينية.

ج: سريان القيم المادية الغربية في حياتنا:

بما أن المجتمع الجزائري . كغيره من مجتمعات العالم المتأخر. يتحرك باتجاه قيم المجتمع الغربي الذي يمثل بالنسبة لأكثرية منآ نموذجا حضاريا أمثل، فإننا نتوقع في كل مرحلة من مراحل تطورنا الاجتماعي مزيدا من التماثل الثقافي* الأحادي الاتجاه، والذي يتم من خلاله انتشار قيم الحضارة الغربية في مجتمعنا. غير أن هذه الحضارة ورغم ما تتضمنه من رقي علمي وتكنولوجي، تتضمن أيضا قيما مادية منحطّة تتعارض تماما قيمنا، وذلك ما أكده كثير من المفكرين الغربيين أنفسهم. فقد وصف أحد المفكرين الفرنسيين وهو روني غينون* (René guènon) (1865 – 1954م) الحضارة الغربية بأنها بنيت أساسا على تغييب المبادئ الأخلاقية والروحية. وقد كانت صبغتها المادية متمركزة في حدودها، لكنها تسعى جاهدة إلى تصدير هذه الصبغة المادية إلى الشعوب الأخرى بكل الأشكال الممكنة [xviii]. **أما** فيلسوف الحضارة الألماني ألبرت شفيتسر* (1875–1965) فيؤكد قائلا:" بالرغم من أن الغرب احتفظ بقوته في معظم مرافق الحياة، إلا أنه روحيا مصاب بالهزال"[xix] .كما ويؤكد المفكر الفرنسي روجي غارودي على أن الحضارة الغربية قد ضيّعت البعد الإنساني للبشر، فباتت ثقافتها ثقافةً فرعونية، والتي إن استمرت فستؤدي إلى انتحار الكون كلّه[xx]. ولا شك أن الكثير من مجتمعات العالم الإسلامي ومن بينها المجتمع الجزائري، لا تنفك عن التأثر بالغرب بسبب ثلاثة

عوامل رئيسية هي:

1-غياب البدائل الحضارية في هذه المجتمعات.

2-مركب النقص الذي يشعر به المغلوب (وهو مجتمعاتنا الإسلامية) إزاء الغالب (وهو الغرب)[xxi].الأمر الذي أدّى إلى خلق انهزامية نفسية عميقة تدعو الغالبية من أفراد هذه المجتمعات إلى تقليد كل ما هو وافد من الغرب.

3-إصرار الغرب على تذويب المجتمعات الإسلامية في ثقافته وقيمه، كنوع من العنف الثقافي والذي يتجلى في صورة العولمة الثقافية[xxii].وكأن التقدم في هذه المجتمعات مشروط بالانسلاخ عن مقومات الأنا والذوبان في مقومات الآخر (الغرب). وهذا ما ورد على لسان صامويل هانتغتون حيث قال بكل وضوح: "لابد من الاعتراف بهيمنة الحضارة الغربية حتى يمكن التعلّم منها وعندما يَقبلُ المسلمون بالنموذج الغربي صراحة، سيكونون في وضع يمكِّنهم من استخدام التقنية ومن ثم أن يتقدموا"[xxiii] .

وعلى هذا فإنه من المستحيل ـ على الأقل في هذه المرحلة ـ اجتثاث القيم الغربية من عقول الكثيرين من أفراد مجتمعنا، حتى وإن كانت مادية لا أخلاقية، ومضادة لقيمنا. وفي ظل هذا الوضع الأخلاقي الذي يعيشه المجتمع الجزائري، فهل بإمكان الزوايا أن تساهم في التوجيه الروحي والتربوي للفرد الجزائري وبالتالي إنقاذ الأسرة مما يحدق بها من مخاطر بسبب تراجع القيم الدينية؟ لكن قبل الإجابة عن هذا السؤال يجدر بنا أن نتعرض ولو باختصار إلى جملة الأدوار التي قامت الزوايا خلال الحقبة الاستعمارية

3. دور الزوايا إبان العهد الاستعماري في الجزائر:

علينا أن نذكر ما لرجال التصوف في العالم الإسلامي من دور في نشر الإسلام والجهاد والمرابطة في الثغور الإسلامية ضد المعتدين[xxiv]. فقد كان انتشار الإسلام في إفريقيا وجنوبي الصحراء في السنغال ومالي والنيجر وغانا وغينيا وتشاد يرجع في الشطر الأكبر منه إلى رجال الطرق الصوفية خصوصا رجال الطريقة القادرية والشاذلية وخاصة التيجانية. حيث كانت الزوايا التي أنشأها زعماء الطرق بمثابة ركائز لنشر الدعوة الإسلامية بين الشعوب الوثنية في غرب القارة الإفريقية ووسطها[xxv].

أما في الجزائر قد لعبت الزوايا خلال الحقبة الاستعمارية عدة أدوار استطاعت من

خلالها أن تحافظ على هوية الشعب الجزائري الذي كان يتعرض لحملات شرسة من الإبادة، والتجهيل. حيث استطاعت أن ترسخ قيم الدين الإسلامي وتحصن المجتمع الجزائري من حملات التنصير، وهذا ما أكّده أحمد توفيق المدني بقوله:" إن الزوايا استطاعت أن تحفظ الإسلام في هذه البلاد(الجزائر) في عصر الجهل والظلمات، وعمل رجالها الكاملون الأولون على تأسيس الزوايا وقاموا فيها بتعليم النشء، وبثّ العلم في صدور الرجال. ولولا تلك الجهود التي بذلوها لما كنا نجد في بلادنا مكانا للغة العربية ولا للعلوم الدينية، فالزوايا الكبرى هي التي كوّنت في هذه البلاد طبقة فاضلة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الشريف"[xxvi].

أما من الناحية الاقتصادية فقد كانت الزوايا تشرف على الاقتصاد المحلي والإقليمي بل على بعض الحركات التجارية الحساسة، وقد تجسّد ذلك من خلال امتلاك الأراضي وجمع النفقات والزكاة والصدقات، وتوزيعها على مستحقيها. وبالإضافة ما سبق فإنها لعبت دورا سياسيا مشرّفا، إذ أن كل المقاومات الشعبية المضادة للاستعمار الفرنسي في الجزائر انطلقت من الزوايا، وكانت تحت قيادات صوفية[xxvii].فمقاومة الأمير عبد القادر انطلقت من الزاوية القادرية بنواحي معسكر، ومقاومة الزعاطشة انطلقت من الزاوية الرحمانية بالزيبان، ومقاومة أولاد سيدي الشيخ بقيادة الشيخ بوعمامة انطلقت من الزاوية القادرية بالأبيض سيدي الشيخ، وقد دُعِمت ثورة المقراني من طرف رجال الطريقة الرحمانية، وكانت مقاومة الأغواط بقيادة المجاهد ابن ناصر بن شهرة الذي كان ينتمي للزاوية القادرية.

أما من الناحية الاجتماعية فإنه يجب التأكيد على أن الانتساب إلى الطريقة الصوفية كان سمة عامة منتشرة بين أفراد المجتمع الجزائري، حيث كان لانتساب ربِّ الأسرة لزاوية أو طريقة صوفية أثر كبير في تشرب أسرته لمبادئ التصوف وقواعده، كنمط سلوكي من أنماط التنشئة الاجتماعية، وقد يكون هذا الانتساب انتساب سلوك وتربية، أو انتساب تبرّك وولاء، ولكنه أدى في كل الأحوال إلى إنشاء علاقات توافقية بين المجتمع والزوايا، إلى حدّ أن ثقافة التصوف كانت "ضمن اتجاهات وقيم التنشئة الاجتماعية التي يتشرّبها الطفل ويستقيها من أسرته وكافة المؤسسات والهيئات الاجتماعية "[xxviii].

ومما يجب التنبيه إليه أن هناك ثلاثية دينية ظلت تحكم مجتمعات المغرب العربي عامة، والمجتمع الجزائري خاصة، والتي تتمثل في الفقه المالكي، والعقيدة الأشعرية، والتصوف

السني. ويمكن تلخيص هذه الثلاثية في البيت الموالي المقتبس من منظومة ابن عاشر الفقهية التي كانت تُحَفّظُ في الكتاتيب والمساجد والزوايا وهي كالتالي:

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

ولا شك أن التحوّلات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع الجزائري، أفرزت كثيرا من المؤسسات الثقافية والسياسية والاجتماعية التي استطاعت أن تقوم بكثير من الأدوار التي كانت الزوايا تقوم بها في العهد الاستعماري، وبالتالي فإن الزوايا اليوم، تركت كثيرا من تلك المهام إلى غيرها من المؤسسات الاجتماعية، دون أن تتخلى عن دورها الجوهري وهو الدور التربوي والروحي، الذي أصبح مُوجَّها أساسا إلى فئات معينة ممن تؤمن بالتصوف ومبادئه. لكن الحديث عن الزاوية كمؤسسة دينية وتربوية يتطلب منا معرفة مضامين الفكر التربوي الصوفي الذي تهدف الزوايا إلى تحقيقه، فما هي معالم ذلك الفكر وما هي مضامينه؟

4. أبعاد التربية الصوفية:

يجب التنبيه أن الطريقة عند الصوفية ليست فرقة دينية، ولا حزبا سياسيا بل إنها تعني: "جملة الآداب والأخلاق التي يلتزم بها سالك طريق التصوف"[xxix].وهي بالتالي تجسيد لمنهج تربوي تحت توجيه وإشراف رائد ملهم (وهو الشيخ) يدين له أتباعه بالتعظيم والتبعية الفكرية والروحية[xxx]. والالتزام بطريقة معينة لا يعني بتاتا معاداة الطرق الأخرى، ولا معارضتها، وهذا ما حذر منه الصوفية بقولهم "من عدّدنا وفرّقنا فحسبه الله".

أ: البعد الاجتماعي للتربية الصوفية:

ترمي التربية الصوفية إلى تحقيق الهدف الديني العبودي، دون أن تفصله عن الهدف الاجتماعي المعاملاتي. فالهدف الأول يقوم على الصدق والإخلاص لله، في حين يقوم الهدف الثاني على حسن الخلق مع الناس وإيصال النفع إليهم قدر الإمكان. وقد لخص الشيخ عبد القادر الجيلاني ذلك في قوله: "التصوف صدق مع الحق، وحسن الخلق مع الخلق"[xxxi].وهذا ما دعا إلى ذلك الشيخ محمد بن الحبيب في قوله:

وخصلتان ليس شيء يوجد فوقهما من الخيرات يحمد
حسن ظن بالله ثم بالعباد فكُنْ هما وجنّبنَّ للعناد[xxxii]

فالزاوية تمثل مجتمعا صغيرا، يتدرب المريد فيه على التعامل مع إخوانه وفق قيم دينية راقية، مما يؤهله فيما بعد، إلى التعامل الناجح مع أفراد المجتمع. ويمكن تلخيص تلك القيم فيما يلي:

1"خلق الخدمة، خلق الفتوة، خلق التواضع، خلق التوقير، خلق الصبر، خلق التودد خلق النصيحة: "[xxxiii]. فيمكن تلخيص معاملة المريد لإخوانه في الزاوية فيما ذكره الشيخ محمد بن الحبيب:

وتذلّلْ♥ لأهلها تسقى منهم وتقرب لهم ولا تخشى عارا

هذا عن الآداب التي تتعلق بمعاملة المريد لإخوانه، أما عن تلك التي تتعلق بمعاملته لأهله وأفراد أسرته، فيمكن تلخيصها الآتي: "معاملتهم بحسن الخلق، والإنفاق عليهم بالكسب الحلال حتى يثمر ذلك الإنفاق طاعة وصلاحا، وتأديبهم على الالتزام بظاهر العلم والشريعة"[xxxiv]. ولأن المريد يعيش في وسط اجتماعي متنوّع، وجب عليه أن يوظّف ما تدرب عليه مع إخوانه الفقراء في معاملته للناس جميعا، فيكون بذلك منارة خير وصلاح، يسترشد الآخرون بأحواله الطيبة، وأفعاله القويمة. فمما يجب في معاملة الناس: حسن الخلق، والحذر من مخالطة الفسّاق والعصاة [xxxv] لكن عليه أن يدعو لهم بالخير وينظر إليهم بعين الرحمة والشفقة. وعليه أن يصحب الأغنياء بحسن الخلق مع التعزيز، ويترك الطمع فيهم[xxxvi].

وبتحليل هذه القيم تتساقط تلك الاتهامات التي وُجهت إلى التصوف والتي تذهب إلى "أنه من الناحية العملية هروب من الواجبات التي تفرضها الحياة، نحو نوع من الوجد الانفعالي للغبطة ‘‘وأنه "هو نوع من الأنانية يتم استمتاع الصوفي بها لذاته" [xxxvii].

ب: البعد الإنساني للتربية الصوفية:

لا شك أن مأساة الإنسان في كل العصور، ناجمة عن أنانيته التي تدعوه إلى الاستكبار على أخيه الإنسان، وذلك ما حذر منه أحد شيوخ التصوف ومنهم الإمام أحمد الرفاعي حيث يقول: "لا تزعم أخا الحجاب، أن أخاك الإنسان الآخر، عبدك بدريهماتك، بوقتك، بحظك، بشأنك، بما أنت فيه من أمرك. هو فوق ذلك وأنت دون ذلك. كل من ساواك بتركيب الهيكل أو ماثلك بالصورة والنسق فهو أخوك بجنسيتك، وشريكك بآدميتك لا هو مملوكك، ولا أنت مالكه"[xxxviii].

هذا عن أبناء الجنس الواحد من البشر أما عن الأجناس الأخرى من الكائنات فليس للإنسان الحق في احتقارها "وكل من خالفك بتركيبك فهو ملحق بجنسه، حقر أو عظم، وأنت ملحق بجنسك. فاعرف حدّك"[xxxix]. ومن هذا المنطلق يتعين على الإنسان أن يتأدب" مع صنوف أجناس الأشياء من ذوات أرواح وجمادات، بارزات، ومطويات، علويات وسفليات"[xl]. ولا يقف الحد عند احترام الكائنات فحسب، بل إن الإنسان مطالب بأن يوصل النفع لهم قدر ما يستطيع "لقوله صلى الله عليه: الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله...فكل من لم ينفع في الدنيا، لم ينفع في الآخرة"[xli].

ومما سبق يبدو لنا أن غياب البعد الإنساني في معاملاتنا يرجع أساسا إلى نقص التربية الروحية ولذا فإن أولى اهتمامات الزاوية هو ترسيخ هذا البعد في الإنسان المعاصر الذي كثرت أمراضه الروحية وضغوطه النفسية وأزماته العصبية كالقلق والاكتئاب، رغم ما يحاط به من ترف مادي.

ج: البعد النفسي للتربية الصوفية:

إذا كان فلاسفة التربية قد اهتموا "بالتطوير اللامحدود لإمكانيات الإنسان واحترام كرامته"[xlii] فإن ذلك التطوير لا يكتمل . في نظر الصوفية . إلا إذا وجد الإنسان الاطمئنان النفسي الذي يؤهله لأن يكون خليفة الله في هذا العالم.[xliii] وهذا ما يؤكده الشيخ محمد بن الحبيب . رحمه الله . بقوله:

من كان من نفسه في أمن كان من الخلق في أمان[xliv]

فالصوفي يسعى لاكتشاف عيوب نفسه ليعالجها في ذاته وفي الغير ويرتفع بمستوى الحياة الروحية ليجعل منها نموذجا يجتذب الآخرين[xlv].ولا شك أن تربية النفس ترتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم الحضارة التي تهدف إلى "بذل المجهود من أجل تكميل النوع الإنساني"[xlvi]. غير أن هذا التكميل، لا يمكن أن يكون من خارج الإنسان وإنما من داخله. وهذا ما دعا إليه أحد فلاسفة التربية المعاصرين وهو رونيه أوبير عندما قال: "إن التربية التي يتلقاها الكائن هي في جوهرها نداء له أن يكون من هو".[xlvii] ولذلك شعر كثير من المفكرين بمرارة اغتراب الإنسان المعاصر عن نفسه رغم ما حققه من تقدم مادي فأكّدوا أنه "من الأفضل أن نوجه اهتماما أكثر إلى أنفسنا، من أن نبني بواخر أكثر سرعة، وسيارات تتوفر فيها أسباب الراحة،

وأجهزة راديو أقل ثمنا، أو تلسكوبات لفحص سديم على بعد سحيق"[xlviii].

ومن هنا تظهر قيمة التربية الصوفية في" تحقيق إنسانية الإنسان، ومساعدته على مواجهة كل القوى التي تعمل على تشييئه وتغييبه وامتلاكه واستلابه وتغريبه وإزاحته من مركزية الوجود لمصلحة الآلة والمادة والاستهلاك"[xlix].ولا يتم هذا الهدف إلا بمجاهدة النفس، لأنها مصدر كل الأمراض كالكبر والعجب والحسد والغرور وغيرها. وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن الحبيب ـ قدس الله سره ـ:

وأعظم ذنب العبد رؤية نفسه ففيها من الأخباث كل شنيعة[l]

وليس العاقل مَنْ جمع العلوم والمعارف، بل العاقل من استطاع أن يوقف نفسه عند حدها فيتخلص من الأنانية الكاذبة والدعوى الباطلة، والتكبر الأعمى، بمعرفته لمبتدئه الطيني ومنتهاه الترابي. و "ما دخل ساحة القرب من استصغر الناس واستعظم نفسه" [li].

د: البعد الحضاري للتربية الصوفية:

لعل من جملة المآخذ التي تؤخذ على الصوفية أنهم أهملوا شؤون الحياة، وربوا أتباعهم على الزهد فيها. والحقيقة غيرُ ذلك تماما، فالزهد عند الصوفية ليس التخلّي عن طيبات الحياة، ولا الإعراض عن تعمير الدنيا، إنما الزهد "أن تنفض يديك من الدنيا فلا ترفعها إلى قلبك ولو ملكتها بحذافيرها"[lii].وبما أن ملذّات الحياة من أكبر القواطع والحجب، فإن المريد يتربى في الزاوية على إخراجها من قلبه لا من يده. وبهذا كان الإمام الرفاعي يخاطب مريديه قائلا: "لا أقول لكم انقطعوا عن الأسباب، عن التجارة، والصنعة. ولكن أقول: انقطعوا عن الغفلة والحرام في كل ذلك. لا أقول لكم: أهملوا الأهل، ولا تلبسوا الثوب الحسن، ولكن أقول: إياكم والاشتغال بالأهل عن الله"[liii].

فالعبرة إذن ليست في فقر ذات اليد، ولكن العبرة في تخْلِية القلب مما يقطع عن الله. فقد يكون الإنسان فقيرا وقلبه راغب في الدنيا مُتلهّف إلى بامتلاكها، وقد يكون غنيا وقلبه راغب عنها، عديم التفكير فيها. وليس من اللائق بالصوفي أن يرتدي رثّ الثياب، وأوسخها حتى يكون صوفيا، بل الواجب عليه يكون أنيقا في ملبسه مُظهِرا نعمة الله عليه، لأن الله يحب أن يَرى أثر نعمه على خلقه في المأكل والمشرب والملبس وفي كل شيء.

وإذا كانت تنقية الثياب واجبة فإن تنقية القلب أوجب، يقول الإمام الرفاعي قدس الله سره . في هذا الشأن: "نقوا ثيابكم ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ الأعراف . 32 وأقول: نقوا قلوبكم وطهّروها فذلك أولى من تنقية الثياب"[liv].

ولذا فإن من المبادئ التي تدعو إليها الزاوية، تعمير الدنيا، وخدمة المجتمع بصالح الأعمال كيف ما كانت. وقد حذر الشيوخ من المريد البطال الذي يخادع الناس بزهده، وقلبه مملوء بحب الدنيا، إذ "ما أقبح الصوفي البطال يدَّعي الزهد وعينه في المال، ويدُه ممدودة للسؤال"[lv].وإن "أكره ما تراه العين، رجل عليه سيما الزاهدين، وهمته همة السائلين، مطأطأ للنوال، ورضي بالسؤال، فهو أخس من عجزة النساء"[lvi].

وللصوفية فلسفة في العمل لا تنحصر في حدود الفرد، بل إن لها أبعادا حضارية بعيدة المدى. فلقد كان الإمام الرفاعي يعيش في البصرة ببغداد، وكان يشاهد مدى ما بلغته الحضارة العربية الإسلامية من رقي في جميع مجالات الحياة، وكان يدرك أن ذلك الرقي لم يكن ليتأتى لولا العلم والعمل والانفتاح الواعي على تجارب الأمم المختلفة. فكان ينادي في أصحابه قائلا: "انسجوا وَشْيَ صنعاء، وبزّ فارس، وخزّ اشبيلية بين سواري أروقتكم بهذه القرية واجمعوا بين صنائع العرب والفرس والروم"[lvii].ولا شك أن هذا الخطاب يحمل دلالات اقتصادية وسياسية وثقافية، عميقة الغور.

تلك هي مضامين الفكر التربوي التي يتعلمها المريد في الزاوية، والتي يستهدي بها في تعامله مع إخوانه الفقراء، ومع أفراد أسرته ومع كافة الناس. وهي قيم مقتبسة كلها من نصوص الشريعة الإسلامية. كما أنها لا تقتصر على المريد الصوفي فحسب وإنما يستطيع كل مسلم أن يستثمرها في حياته الخاصة والعامة، بل إنها تحمل من القيم الإنسانية ما يجعلها صالحة لبناء علاقات راقية بين كافة البشر لأن المؤمن في كل أحواله كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين.

الجانب الميداني للدراسة:

إشكالية الدراسة: إلى أي حد نجحت الزاوية الحبيبية في إرشاد المنتسبين إليها تربويا وروحيا؟ وهل استطاعت بذلك أن تساهم في الضبط الاجتماعي وتوجيه أسر المنتسبين إليها؟ وهل وفقت في جعل خطابها التربوي منسجما مع التحديات المعاصرة التي تواجه مريديها؟

الفرضية العامة: . الزاوية الحبيبية تنتهج منهجا تربويا معاصرا، تساهم فيمن خلاله في الضبط الاجتماعي وفي التوجيه التربوي والروحي لأسر المنتسبين إليها.

وقد تمخضت عن هذه الفرضية العامة فرضيات جزئيتان:

- **الفرضية الجزئية الأولى:** المنهج التربوي المتبع في الزاوية الحبيبية ملائم للحياة الاجتماعية المعاصرة
- **الفرضية الجزئية الثانية:** المنتسبون للزاوية الحبيبية ينقلون القيم التي يتلقونها في الزاوية إلى أسرهم. وبالتالي يساهمون في عملية الضبط الاجتماعي.
- **أهداف الدراسة:** معرفة المنهج التربوي الذي يتلقاه المريدون في الزاوية الحبيبية، ومدى أثره في توجيه وإرشاد أسرهم.

. منهج الدراسة:

اعتمد الباحث على أسلوب قياس الرأي، كأسلوب من أساليب قياس الاتجاهات[lviii].

. أدوات الدراسة:

اعتمد الباحث: على استبيان يضم مجموعة من الأسئلة المفتوحة والمغلقة (17 سؤالا).

. الأسلوب الإحصائي:

اكتفى الباحث بأسلوب النسب المئوية.

. مجتمع الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من 67 مريدا ينتمون إلى الزاوية الحبيبية.

نبذة تاريخية عن الزاوية الحبيبية:

يعود تأسيس الطريقة الحبيبية الشاذلية إلى الشيخ سيدي محمد بن الحبيب الأمغاري الحسني . رحمه الله . (1871م . 1972م) والذي يعتبر أحد العلماء الكبار بالمغرب الأقصى. وقد كانت زاويته الأمّ بمكناس منبع إشعاع علمي وروحي استقطب كثيرا من المتعطشين للتربية الروحية. ولزاويته فروع في المغرب، والجزائر، واسبانيا، والمكسيك، وجنوب إفريقيا. ومن بين

زواياه في الجزائر، زاوية الأغواط التي تأسست منذ سنة 1946م، وتولى الإشراف عليها ثلاثة مقاديم: أولهم العارف بالله سيدي الحاج عيسى رحمه الله (ت 1976م) وثانيهم العارف بالله سيدي الحاج علي بن مناد رحمه الله (ت 1991م) وثالثهم العارف بالله سيدي الحاج البشير بن إسماعيل الذي مازال يشرف عليها إلى الآن. وهو أستاذ التعليم الأساسي للغة العربية، متقاعد منذ سنة 2000م. أما المريدون فيبلغ عددهم 100 وهم من الفئات العمرية الواقعة ما بين 25سنة و 55 سنة. أكثرهم يشتغلون في وظائف حكومية متنوعة.

. الموقع:

تقع الزاوية حاليا بحي المعمورة بالأغواط، حيث خصص لها الجزء الأرضي من بيت المقدم سيدي الحاج البشير بن إسماعيل، والذي يحتل مساحة حوالي 200م2. تحتوي على ما يحتاجه المريدون من مرافق.

. النشاط العلمي:

تتلخص نشاطات الزاوية في قراءة القرآن، وتدريس علوم الدين، وخاصة علم تزكية النفس (التصوف) من خلال شرح ديوان الشعر الذي خلّفه الشيخ المؤسس (سيدي محمد بن الحبيب) هذا بالإضافة إلى إقامة الاحتفالات الدينية.

. زمن الدراسة:

جرت الدراسة في شهر ماي 2008م.

نتائج الدراسة:

. السؤال الأول:

هل المنهج التربوي الذي تلقيته في الزاويــة	ملائم كثيرا لحياتك الاجتماعية	ملائم قليلا لحياتك الاجتماعية	غير ملائم لحياتك الاجتماعية	المجموع
التــكرار	61	06	00	67
النسبــة	91,04	08,95	00	100

الاستنتاج:

نلاحظ أن النسبة الغالبة من المدروسين (91,04) يرون أن المنهج التربوي الملقن لهم في الزاوية الحبيبية ملائم للحياة الاجتماعية المعاصرة التي يعيشونها، مما يوحي بأن المقدم المشرف على عملية التربية يعي جيدا مجمل التغيرات الاجتماعية التي يشهدها المجتمع الجزائري، ويحاول تكييف خطابه التربوي معها. وبالتالي فإن الفرضية الجزئية الأولى قد تحققت.

. السؤال الثاني:

هل تنقل المنهج التربوي الذي تلقيته في الزاوية إلى أسرتك	نعم أنقل	لا أنقل	المجموع
التكرار	62	05	67
النسبة	92,53	7,46	100

الاستنتاج:

نلاحظ من قراءتنا لهذا الجدول أن النسبة الغالبة (92,53) ينقلون مبادئ التربية الصوفية إلى أسرهم، مما يدل على أنهم يساهمون في عملية الضبط الاجتماعي لجزء من المجتمع الجزائري وبالتالي فإن الفرضية الجزئية الثانية قد تحققت.

. السؤال الثالث:

هل تدعو إلى المنهج التربوي الذي تلقيته في الزاوية في مكان عملك	نعم أنقل	لا أنقل	المجموع
التكرار	40	27	67
النسبة	59,70	40,29	100

الاستنتاج:

من قراءتنا لهذا الجدول نلاحظ تراجعا واضحا في نسبة نقل القيم الروحية إلى أمكنة عمل المنتسبين (59,70) إذا ما قورنت بنسبة نقل القيم ذاتها إلى أسرهم (92,53). وربما يرجع ذلك . حسب اعتقادي إلى أن المنتسبين إلى الزاوية الحبيبية لا يجدون في أماكن عملهم تلك الحرية التي يجدونها في أسرهم. ومع ذلك فإن نسبة (59,70) ممن ينشرون القيم الدينية في أماكن عملهم تعتبر نسبة إيجابية، توحي بمدى إسهام المنتسبين . على قلة عددهم . في تلطيف الأجواء، ونشر الثقافة الروحية في المجتمع. هذا ومن خلال قراءتنا النتائج المتوصل إليها، نستخلص إلى أن الفرضية العامة والتي تنص على أن " الزاوية الحبيبية تنتهج منهجا تربويا معاصرا، تساهم فيمن خلاله في الضبط الاجتماعي وفي التوجيه التربوي والروحي لأسر المنتسبين إليها" قد تحققت.

الخاتمة:

يمكننا في نهاية هذه الدراسة أن نؤكد على الدور الإيجابي الذي تقوم به الزوايا، حيث أنها تلقن القيم الروحية في صفوف المنتسبين إليها، الأمر الذي يساهم في تلطيف الأجواء وإحداث توازن روحي داخل المجتمع خاصة في عصرنا هذا الذي غُيبت فيه القيم الروحية، وطغت فيه النزعة المادية. وكما أنه ليس من المنطقي أن نجعل كل الناس متصوفين، فإنه ليس من المنطقي كذلك أن يخلو مجتمعنا من نخبة روحية تقي أفراده من السقوط في هاوية المادة، وتساعدهم على مواجهة كل القوى التي تعمل على تشييئهم وتغريبهم.

الهوامش:

[i] دلال ملحس: التغير الاجتماعي والثقافي، دار وائل، عمان، الأردن، 2004م، 19.

[ii] أنظر: عبد الله محمد عبد الرحمن، علم الاجتماع النشأة والتطور، دار المعرفة العلمية. ص، ص352 353.

[iii] دلال ملحس: التغير الاجتماعي والثقافي،221.

[iv]أنظر:سناء الخولي: الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ، ص 131.

[v] سهام محمود العراقي: الاتجاه الديني المعاصر لدى الشباب، الإسكندرية، مكتبة المعارف الحديثة،1984، ص 55 ،56.

[vi] عبد الكريم بكار: عصرنا والعيش في زمانه الصعب، دمشق، دار القلم، ط2000،1 م، ص35.

[vii] سامية محمد جابر: الانحراف الاجتماعي بين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، ط،2000، ص،166.

[viii] المرجع السابق.

[ix] مصري حنورة وآخرون: تطور منظومة القيم لدى الشباب الكويتي عبر خمسة عشرة عاما، المؤتمر الدولي الخامس لمركز الإرشاد النفسي، مصر، جامعة عين شمس،1–3 ديسمبر،1998م.

[x] عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في علم النفس الاجتماعي، القاهرة، دار قباء للنشر والتوزيع، المجلد الأول،1998م، ص104.

[xi] رواه أبو داود وغيره.

[xii] رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس بن مالك.

[xiii] رواه البخاري في باب الاستقراض والحجر والتفليس.

[xiv] إسماعيل قيرة وعلي غربي: تحولات نهاية القرن (العولمة ومستقبل الجزائر) مجلة التواصل، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر. عدد 2000،6. ص20 ،53.

[xv] القرضاوي يوسف: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1987م. 18.

[xvi] صحيح البخاري، حديث رقم 5956.

[xvii] أنظر: ابن خلدون عبد الرحمن: لمقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3 .1967م. ص 262، وما بعدها.

* أي اختفاء الخصائص الثقافية المميزة لجماعة ما نتيجة لاكتسابها الكلي لثقافة جماعة أخرى. أنظر عبد الهادي الجوهري: معجم علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.1999م.ص ص64 ،65.

* فيلسوف ورياضي فرنسي اهتم بالدراسات الشرقية. اعتنق الإسلام، وانتسب إلى التصوف وأطلق على نفسه اسم عبد الواحد يحي. توفي بالقاهرة سنة 1954.

18-René guenon; la crise du monde moderne ,èd bouchène , Alger, 1990,p p69 , 120,117

* فيلسوف ألماني يُعد واحدا من أنبل الشخصيات العالمية في القرن العشرين. كان فيلسوفا أخلاقيا ومرشدا روحيا يدعو إلى حب الإنسانية. وكان طبيبا، وموسيقيا بارعا. مُنح جائزة نوبل للسلام سنة 1952م.

[xix] اشفيتسر ألبرت: فلسفة الحضارة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، بيروت ط3. 1983م. ص 11.

[xx] تعليق غارودي على مؤتمر السكان الذي عقد بالقاهرة أيام 5-13 سبتمبر سنة 1994نقلاعن يوسف القرضاوي: الإسلام حضارة الغد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1995،1م. ص106 ،111.

[xxi] أنظر ابن خلدون: مقدمة، ص 258، 259.

[xxii] عبد الإله بلقزيز: العولمة والهوية الثقافية، ضمن العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1997.ص 309 ،319.

[xxiii] صامويل هانتغتون: صدام الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، القاهرة،1998م، ص 122.

[xxiv] الصالح عبد الحميد: التصوف، منشورات جامعة دمشق،2003م,ص48.

[xxv] عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي، الكويت،1975م، ص 15.

[xxvi] أنظر: أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م، ص 51.

[xxvii] جيلالي صاري: الدور التاريخي للطرقية ببلدان المغرب العربي، ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرون، معسكر، الجزائر،1978م.

[xxviii]منال عبد المنعم جاد الله: التصوف في مصر والمغرب، الإسكندرية، منشأة المعارف،1997م، ص 212.

[xxix] أبو الوفا التفتازاني: الطريقة الأكبرية، ضمن الكتاب التذكاري للشيخ محي الدين بن عربي. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1966م. 309

[xxx] أنظر: أبو العلا عفيفي: التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف، مصر،1963م، ص57.

[xxxi] الجيلاني عبد القادر:الغنية، دار صادر، بيروت، ط1، 1996 ج2،ص183.

[xxxii] ابن الحبيب محمد: بغية المريدين السائرين، طبعة الزاوية الحبيبية، الجزائر، 1368هـ، ص34.

[xxxiii] الجيلاني عبد القادر: الغنية، ج2، الصفحات من 195إلى201.

♥ التذلل بمعنى التواضع

[xxxiv] المرجع السابق، ص 30.

[xxxv] المرجع السابق، ص 30.

[xxxvi] المرجع السابق، ج2، ص195.

[xxxvii] الصالح عبد الحميد: التصوف، ص283.

[xxxviii] الرفاعي أحمد: البرهان المؤيد، تحقيق إبراهيم الرفاعي، دار آل الرفاعي، القاهرة، 1998 م. ص ص,10, 11.

[xxxix] المرجع السابق، ص11.

[xl]المرجع السابق.

[xli] المرجع السابق،ص ص66، 67.

xlii-Julia Didier : Dictionnaire de la philosophie ; librairie Larousse ; Paris ; 1964, p136.

[xliii] أنظر الرازي نجم الدين أبو بكر: منارات السائرين إلى حضرة الله، تحقيق عاصم لكيالي، دار الكتب لعلمية، بيروت، ط1، 2004، ص98 وما بعدها.

[xliv] ابن الحبيب محمد: بغية المريدين السائرين، ص52.

[xlv] الصالح عبد الحميد: التصوف، ص48.

[xlvi] اشفيستر ألبرت: فلسفة الحضارة، ص05.

[xlvii]رونيه أوبير: التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1982، ص82.

[xlviii] ألكسيس كاريل: الإنسان ذلك المجهول، تعريب شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف، بيروت،1998، ص57.

[xlix] الحكيم سعاد: التصوف يحقق التقارب بين المذاهب، مجلة العربي، العدد 579، فبراير 2007، ص72.

[l] ابن الحبيب محمد: بغية المريدين السائرين، ص 24.

[li] الرفاعي أحمد: البرهان المؤيد، ص 18.

[lii] المرجع السابق، ص 50.

[liii] المرجع السابق، ص ص74 ،75.

[liv]المرجع السابق.

[lv] الرفاعي أحمد: النظام الخاص لأهل الاختصاص، تحقيق عبد الغني نكه مي، دار الكتاب النفيس، حلب، سورية، ط2، 1414هـ، ص44.

[lvi] المرجع السابق، ص46.

[lvii] المرجع السابق، ص، ص45، 46.

[lviii] إحسان محمد الحسن: الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة بيروت، ط1 ،1982، ص 148.